المجلد: 16 العدد: 3 الجزء: 2 في (2024 /7/1) Lark Journal
وقائع المؤتمر العلمي الثامن لكلية الاداب – جامعة واسط، بالتعاون مع مجلة لارك تحت شعار (المسارات المعرفية للعلوم الانسانية والاجتماعية الواقع وآفاق الريادة، المنعقد بتاريخ (2024/4/23)

ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:

Dr. Qasim Sahib Abdul Hussein
University: Wasit University
College: College Of Arts
Email: qsahib@uowasit.edu.iq

Keywords:
Moral Values,Genetic Engineering,Human reproduction,biological science, mercy killing.

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 9 May 2024
Accepted 14 Jun 2024
Available online 1 Jul 2024

Values for the ethics of high technology, human reproduction, euthansi; A critical philosophical review

A B S T R A C T

The topic of genetic engineering, human cloning, euthanasia, and the technology revolution are contemporary topics, which have raised many question, whether they are moral. Intellectual, or philosophical values, certainly, there has been along discussion about them in the Islamic and Arab worlds. these questions represent the fears of human society as a whol regarding regarding the application of the application of such technology, as long as humanity well as in the if human is on the verge of serious changes in the systems of tradition, customs, and moral values.

© 2024 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/lark.Vol3.Iss16.3640

القيم لأخلاقيات الهندسة الوراثية والاستنساخ البشري والقتل الرحيم(دراسة فلسفية نقدية)

ا.م.د. قاسم صاحب عبد الحسين /جامعة واسط / كلية الاداب

الخلاصة:

ان موضوع الهندسة الوراثية والاستنساخ البشري، والقتل الرحيم وثورة التكنولوجيا من الموضوعات المعاصرة، التي أثارت الكثير من التساؤلات سواء كانت قيّما أخلاقية أم فكرية أم فلسفية ، بالتاكيد لقد دار فيها نقاش طويل في العالم الغربي وكذلك في العالمين الإسلامي والعربي. وتمثل هذه التساؤلات مخاوف المجتمع الإنساني ككل من تطبيقات مثل هذه التكنولوجيا، ما دامت الانسانية مقبلة على تغيّرات خطيرة في منظومات التقاليد والعادات والقيم الأخلاقية.

كلمات مفتاحية:القيم الأخلاقية _ الهندسة الوراثية _ الاستنساخ البشري _ علم البيولوجي _ القتل الرحيم.

المقدمة:

للبحث أهمية أنه يأتي في زمن تتلاحق فيه الثورات التكنولوجية والعلمية والسبرانية، وما لها من تطبيقات للقيم الأخلاقية، وانعكاساتها على الحياة البشرية، بالطبع مما يثير الخوف والأمل في النفوس، لقد أصبح العالم متشوقًا للبحث عن قوانين وأحكام دينية وقيم أخلاقية تضبط استخدامات هذه التكنولوجيا وتوجيهيها في الطريق الصحيح الذي يخدم البشرية جمعاء وكذلك يحفظ لها تطورها وتقدمها الطبيعي.

لهذا السبب أمست فلسفة الأخلاق الموضوع الذي يفتش عن إجابات لأسئلة عميقة ومفاهيم الخير والشر، والفضيلة والرذيلة، والحق والباطل، والخطأ والصواب، والواجب، والعدالة، والمسؤولية والحرية، كلها فروع تشمل فلسفة الأخلاق التطبيقية، بحيث تغيرت طبيعة فلسفة الأخلاق وأصبح لها فرع يسمى (الأخلاق العملية =التطبيقية) لا ينقد ويحلل فقط، وإنما يسعى لإيجاد حلول لمواقف عملية، أي انه يذهب نحو التطبيق من دون الاكتفاء بعملية التنظير، وهكذا نزلت فلسفة الأخلاق إلى أرض الواقع، وأصبح لها دور ايجابي، إذ تساعد بشكل عملي تطبيقي في بناء المجتمع ككل.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ما دامت فلسفة الأخلاق هي أحد فروع الفلسفة الذي يبحث عن سبل لتطبيق النظرية الأخلاقية في مواقف الحياة العملية أي التطبيقية. فإنه أدى إلى ظهور العديد من المجالات المتخصصة، مثل : التطورات التكنولوجية، والهندسة الوراثية، وأخلاقيات علم البيولوجي، والاستنساخ البشري، والقتل الرحيم وتأجير الارحام وأطفال الأنابيب، والأعمال الاقتصادية...الخ. التي تتعامل مع التحديات للقيم الأخلاقية، في ظل الموجة الحضارية المعاصرة للتكنولوجيا المعاصرة.

كل هذه التحديات، والتطورات العلمية المعاصرة، وضعت على القيم الأخلاقية وفلسفتها، الحرية والمسؤولية، عن رصد تلك التحديات الراهنة والمرتبطة، بتطور العلوم والتكنولوجيا، وكذلك الحفاظ على القيم الأخلاقية ، للمجتمع الإنساني المعاصر.

عليه سأتناول في هذا البحث محاولة سبر التحديات للقيم الأخلاقية للمجتمع الإنساني ولا سيما المرتبطة بتطور العلوم والتكنولوجيا، سواء منها العلوم البيولوجية، والهندسة الوراثية، والاستنساخ البشري والقتل الرحيم...وغير ذلك.

وسيتوزع البحث على خمسة مباحث :

المبحث الأول: تعريف القيم الأخلاقية:

المبحث الثاني: علاقة الأخلاق بالعلوم الأخرى.

المبحث الثالث: أخلاقيات الهندسة الوراثية والاستنساخ البشري.

المبحث الرابع: القتل الرحيم بين القيم الأخلاقية والدّين.

المبحث الخامس: موقف رجال الدّين والأخلاق من الهندسة الوراثية والاستنساخ البشري والقتل الرحيم.

المبحث الأول: تعريف القيم الأخلاقية:

إن أول ما ينبغي علينا البدء في دراسة القيمة، فإن من المسلم به أن نقدم المعنى اللغوي لها، في المورد الحديث إلـ (value) معناها:" يقيّم، سعر، ثمن، ويثمّن".(البعلبكي،2009،ص1300). أي بمعنى ان قيمة الشيء قدرته، وكذلك قيمة المتاع سعره.

أما في المعاجم الفلسفية ففي معجم المصطلحات الفلسفية: لـ (عبده الحلو) يعرفها بأنها "ما يمتلك الشيء، من قدرٍ أو رتبةٍ أو أهميةٍ، يجعله مرغوبًا فيه ومطلوبًا لذاته أو لغيره." (الحلو، 1994،ص177). أي ان قيمة الشيء تتجلى في قدرته على إثارة الرغبة، وكذلك أنها تتناسب مع إمكانية الرغبة. والقيمة هنا هي صفة الشيء القابل للرغبة.

ويطلق مصطلح القيمة على ما يتميّز به الشيء من صفات تجعله مستحقًّا للتقدير كثيرًا أو قليلًا فإن كان مستحقًّا للتقدير بذاته، كانت قيمته مطلقة ثابتة، مثال ذلك: الحق (المنطق) والخير (الأخلاق) والجمال (الجمال) ، وإن كان مستحقًّا للتقدير من أجل غرض معيّن، كانت قيمته إضافية، مثال ذلك: (الوسائل التعليمية) و (الوثائق التاريخية). وتتميّز فكرة القيمة عن ما يجب أن يكون وعن فكرة الحقيقة عن ما هو كائن." (روّيه،ب ـ ت،ص5).

أما معنى الأخلاق فعرفت بأنها: القواعد التي ينبغي على الإنسان أن يسير عليها لبلوغ كامل إنسانيته وذلك في ضوء مَثل أعلى يصبو إليه. بمعنى ان علم الأخلاق علم معياري لا يبحث في حياة الإنسان الواقعية ويصف ما هو كائن بالفعل، بل هو علم يضع ما ينبغي أن يكون عليه الفعل.(ينظر: مهران، 1998، ص21)، وكذلك هي قيم أو منظومة قيم، تعرّف عليها الإنسان باعتبارها جالبة للخير وطاردة للشر، بل هي مجموعة من القيم والمبادئ تحرك الأشخاص والشعوب كالعدل والحرية والمساواة بحيث ترتقي إلى درجة تصبح مرجعية تستمد

منها ثقافة لتلك الشعوب لتكون سندًا قانونيًّا تستلقي منه الدول والأنظمة والقوانين. وهي السجايا والطباع والأحوال الباطنية التي تدرك بالبصيرة والغريزة. وقيمة الفعل الأخلاقية هي: ما فيه من خير(الأخلاق)، وبقدر اقترابه من صور الخير في الذهن بقدر زيادة هذه القيمة. وصورة الخير في الذهن هي قيمته المثالية وهي أساس أحكام القيمة الأخلاقية.(ينظر: الحفني،2000، ص670).

المبحث الثاني : علاقة الأخلاق بالعلوم الأخرى.

يُعد علم الأخلاق فرعًا من فروع الفلسفة، الى جانب: ما بعد الطبيعة، فلسفة الطبيعة، علم المنطق، علم الجمال، علم البيولوجي، علم السياسة، علم الاجتماع، فلسفة التاريخ، وفلسفة العلم ...والخ.

نعم يجتمع عليه: أخلاق العلم هو موضوع الساعة. ويمثل لقاء حميم بين العلم والفلسفة. على مستوى الفكر وعلى مستوى الواقع: إذ يشتبك بأطرافه كل من الساسة والعسكريين وأهل الاقتصاد ورجال الأعمال والصناعة والقانونيين والإعلاميين والتربويين ورجال الدين والمعنيين بالبيئة ... جميع هذا يهدف للمعالجة الشاملة لمعايير السلوك العلمي وقيم الممارسة التطبيقية العملية، أي أخلاقيات البحث وإنتاج المعرفة العلمية التي هي عصب التقدم الحضاري. (ينظر:ديفيد ب،رزنيك،1978، ص7)، حتى بات المفكرون والعلماء والعامة من الناس وأهل الساسة على وعي متزايد بأهمية الأخلاق في البحث العلمي. وثمة توجهات كثيرة أسهمت بدفع هذا الاهتمام المتنامي مثلًا:(ينظر: ديفيد ب،رزنيك، 1978، ص13 -15).

أولًا: تغطي الصحافة المسموعة والمقروءة والمكتوبة يوميًّا حكايات عن مسائل أخلاقية مثارة في العلم، مثال ذلك تقوم الولايات المتحدة بتجارب سرية على الكائنات البشرية أثناء الحرب الباردة، والهندسة الوراثية ومشروع الجينوم البشري، والقتل الرحيم ودراسات في الأساس الوراثي للذكاء، واستنساخ الأجنة البشرية والحيوانية، وتسخين أو احترار الكرة الأرضية.

ثانيًا: وثق بعض العلماء والمفكرين والمسؤولين في الحكومة بعض حالات السلوك الأخلاقي السيئ المنحل وأصدروا أحكامًا عليها، وذلك في ميادين عديدة من البحث العلمي، على ان الافتقار إلى الأخلاقيات في العلوم عادةً ما يهدد سلامة واستقرار البحث العلمي، وتضمنت حالات الانحراف هذه القول بالخداع والغش، وانتهاك القانون وسوء ادارة التمويل، واستغلال المرؤوسين وغيرها من انتهاكات في توليف الشفرة الوراثية (DNA)، والتحامل وصراع المصالح، ومشكلات أخرى كثيرة، ولكن على الرغم من اتساع اللا أخلاقيات في

البحث العلمي، فإن المعطيات ما زالت تشير إلى ان ثمة انحراف في العلم أقل من الانحراف في مهن كثيرة مثل الأعمال الحرة والطب والقانون والاقتصاد والسياسة والمجتمع وغيرها.

ثالثًا: الأسباب التي جعلت الأخلاق مسألة ملحة على الأذهان هي تزايد الاعتماد المتبادل بين العلم وبين الأعمال الحرة والصناعة. وهذا أدى بدوره إلى صراعات غير أخلاقية بين القيم العلمية وقيم الأعمال الحرة. ومن أجل إلقاء الضوء على العلاقة بين الأخلاق والعلم سوف أناقش بعض حالات في البحث العلمي تولد عنها الجدل والتساؤلات الأخلاقية. مثل:

الأخلاق وعلاقتها بعلم (البيولوجيا:bioethics)

هي دراسة فلسفية للخلافات الأخلاقية الناجمة عن التقدم في مجال البيولوجيا (علم الأحياء)، والطب، والبيولوجيا مرتبطة بالمسائل والقيم الأخلاقية التي تنشأ في العلاقات بين علوم الحياة، من المفكرين الذين ذهبوا إلى فائدة العلم للأخلاق هو العالم البيولوجيا (متشنيكوف 1845– 1916) في إصدار كتابه عام 1903(دراسة في الطبيعة الإنسانية)، محاولة منه لوضع فلسفة متفائلة.(ينظر: بدوي،1975،ص35)، حيث بيّن لنا إن الإنسان يعذبه عدم الانسجام مع طبيعته، وكونه فريسة لثلاث بَلايا هي:(المرض، والشيخوخة، والموت). ولحل هذه البلايا الثلاث التي تصيب الإنسان، إذ قامت الأديان والفلسفة بتقديم حلول منها: الحل الديني لمشكلة المصير، بالخلود. أما الفلسفة المتفائلة فكان حلّها هو الاستسلام. والفلسفة المتشائمة قدمت حلها باليأس والموت. كل هذه الحلول غير مقبولة في نظره ولكنه سعى إلى حل رابع وهو (العلم)، وبهذا يستطيع ان يوفر للإنسان السعادة التي يحلم بها. أما المرض، فنتيجة لتطور الطب فسيفضي في النهاية إلى القضاء عليه، والطب نهض بعد اكتشاف العالِم (باستير) الجراثيم ودورها في أحداث الأمراض. أما الشيخوخة فأمرها معقد للغاية لعدم معرفة الأسباب الحقيقية التي تؤدي إليها. بالنسبة إلى الموت فيجيب (متشنيكوف)، قائلًا: فالإنسان لا بد مصيره إلى الموت، واستنادًا للحقائق يريد ان يضع أخلاقًا ونظرية في السلوك، ويستطرد في القول: طالما الإنسان قد غيّر في طبائع الحيوان والنبات، كذلك عليه ان يغير في طبيعته هو بنفسه ليجعلها أكثر انسجامًا. ويجب على الإنسان ان يجعل الغرض من الوجود الإنساني هو إنجاز الدورة الكاملة الفسيولوجية، وإنهاؤها بشيخوخة طبيعية تفضي في الأخير إلى فقدان غريزة الحياة ومواجهة غريزة الموت الطبيعي.(ينظر: بدوي،1975،ص37 -38).

صحيح ان العلوم في (القرن التاسع عشر) اندفعت بسرعة محيرة للعقول، وتم ذلك في ساحتي النظريات العلمية والتطبيقات العملية. وأصبحت المخترعات تتوالى بسرعة خارقة للعادة، وتغلغلت في جميع نواحي الحياة، وأخذ كل شيء يتغير ويتطور ويتقدم، من الزراعة والصناعة والطب والجراحة والهندسة وكذلك من

وسائل المتناقلة والمواصلة إلى وسائط التسخين والتنوير والطبخ.. أي كل شيء أخذ يتغير ويتطور ويتقدم بدون انقطاع. وذلك نتيجة للتقدم العلمي الذي حصل في جميع نواحي ومفاصل الحياة التكنولوجية والمادية والذي أشاع في النفوس حالة من التفاؤل، وهذا التفاؤل وصل عند بعض المفكرين إلى حدّ الاعتقاد بان هذا التقدم العلمي الهائل، له ان يكون مقدمة لتقدم وتطور فكري ثقافي معنوي(أخلاقي)، الذي يضع حدًّا للتعاسة والشقاء والضجر على وجه الأرض، وينشر التفاؤل والسلام بين الناس جميعًا.(ينظر:الحصري،1985،ص17-18).

بعد التقدم العلمي الذي حصل أخذ بعض المفكرين ينظرون إلى ان هذا التقدم الذي حصل لم يتوافق مع التقدم المعنوي (الأخلاقي والاجتماعي). مثال ذلك في مجال الطب، الذي قطع أشواطا كبيرة في سبيل تخفيف الآلام المادية ومعالجة الأمراض البدنية.

إلّا إن المجتمع لم يتوصل بعد إلى إيجاد حل يضمن تخفيف الآلام للقيم الأخلاقية ومعالجة الأمراض الاجتماعية. فأخذت النزعة التفاؤلية تضمحل شيئًا فشيئًا، أمام النزعة التشاؤمية، وهي تشتد وتتفاقم تدريجيًّا.(ينظر:الحصري،1985،ص19). لنأخذ مثلًا (أطفال أنابيب الاختبار) قبل البدء بالكلام عن المثل فان المقصود من أطفال الانابيب: انه العملية الصناعية والتي تتكون نتيجة التقاء ماء الرجل (النطفة) مع بويضة المرأة، والغرض من ذلك هو الحمل ويتم ذلك من طريق حقنه في انبوبة الاختبار لغرض تكوين الجنين وتجري عليه عملية الولادة(محامدية،2017م،ص88-89). جاءت قضية أطفال الانابيب لحل المشكلات التي تصيب المرأة(النسوة) والتي لا تستطيع الاحتفاظ بالطفل(الجنين) في بطنها. (خطاب، ص26-27). منذ ولادة الطفلة (براوين 1978)، في انجلترا أصبح أطفال أنابيب الاختبار حقيقة لاشك فيها. إذ ولدت من جراء تخصيب بويضة والدتها في أنبوبة اختبار ومن ثم زراعة البويضة المخصبة في رحم الأم... وبما إن لمثل هذه التجارب مضامين اجتماعية وأخلاقية لذلك أثارت الكثير من الجدل والخلاف ووقف ضد هذه الفكرة الكثير من المفكرين، واعتبرت عملًا لا أخلاقيًّا ولا شرعيا ولا دينيا. والحجة في ذلك أنها قد تزيل إلى حد بعيد الأساس الذي يستند إليه الزواج مما تشكل خطرًا على المجتمع الانساني.(ينظر: الربيعي،1986،ص171 -172). وعليه أصبح بعض المفكرين لا يكتفون بالألم من الانهيار المعنوي الفكري الأخلاقي والاجتماعي، بل يضعون مسؤولية هذا الانهيار على عاتق العلوم ككل.

المبحث الثالث - أخلاقيات الهندسة الوراثية والاستنساخ البشري :

ان الهندسة الوراثية تعد من قضايا العلوم الطبيعية، وهي القضية الأكثر جدلا للجانب القيمي الأخلاقي والديني من بين قضايا العلوم الطبيعية، ويبدو ان الجدل(الديالكتيك) قد اثير في هذه القضية وذلك بسبب تعلقها بالفرد (الانسان) في ذاته.

ان مصطلح علم الهندسة الوراثية يطلق على تقانة تغيير الموروثات، فهو علم يبحث في الأجنة الوراثية واجراء التجارب عليها. وكذلك في عمليات أطفال الانابيب وذلك لأجل التحكم في سلسلة الشعيرات الملتوية، التي تحمل الملايين من الصفات الوراثية للفرد،(ينظر: عارف،1988م، ص105).

ان الهندسة الوراثية هي: تلاعب إنساني مباشر بالمادة الوراثية للكائن الحي بطريقة لا تحدث في الظروف الطبيعية، إذ إنتاج أي كائن حي باستخدام هذه التقنيات كائنًا معدلًا وراثيًا. إذ إن للهندسة الوراثية جانبين، الأول: جانب إيجابي والثاني: سلبي، أما الجانب الايجابي: فهو الغايات السامية التي يسعى إليها العلم، كتخليص الإنسانية من إمراضها الوراثية ، ويتم ذلك من طريق تغيير الشفرات الوراثية الموجودة في الأجنة، وكذلك التوصل إلى أنواع العلاج المختلفة لأمراض مستعصية مثلًا: كالسرطان وغيرها من الخدمات في مجال كل من الزراعة والصناعة والتغذية بحيث يستفيد منها الإنسان. أما الجانب السلبي: فهو التطبيقات التي يحلم ان يصل إليها بعض العلماء، لتغيير طبيعة الناس (الاشخاص) عن طريق تركيبهم الوراثي، مما قد يفقد الفرد(الانسان) صفاته التي تشكل إنسانيته وبالتالي يلغي حريته واردته.(ينظر:البقصمي،1993، ص204). وكذلك هو العلم الذي يدرس تركيب المادة الوراثية وطريقة وظيفتها وعملها وانتقالها، وكما تدرس طبيعة وانتقال الصفات والامراض والعاهات من جيل لآخر.(شرف الدين،2001م،ص16). والهندسة الوراثية بالطبع دخلت في كل مجال من مجالات حياتنا اليومية، مثلًا في حال بدئنا الكلام عن النباتات نستطيع ان نحدد أهم الأهداف التي من اجلها رغب العلماء في تهجينها فنحن متأكدون مما يريده الفلاحون في محاصيلهم الزراعية، فالكل يرغب في نباتات خالية من الآفات والامراض التي تصيبها. (السعيد،2005م،ص40)

والهندسة الوراثية مرتبطة بمجموعة من "التجارب العلمية التي ظهرت في مجال البيولوجيا، وهي تتحكم بالجينات الوراثية Genetic Manipulation ، والاستنساخ البشري الحيوي Cloning ، وإعادة تركيب إلـ (D.N.A). أي إعادة تركيب الحمض النووي المنقوص الأوكسجين الذي يحمل الصفات الوراثية للإنسان . وهي مجموعة من العمليات التي تدور في المختبرات في الوقت الحاضر، وتثير الرعب في المجتمع".(البقصمي،1993، ص204).

ان مصطلح استنساخ كما يقول: (هنري أتلان)، يقصد به اليوم وبشكل واسع تدخلات علمية متمايّزة، إن استرجاع هذا التمايز ليس مهمًا فقط من وجهة نظر تقنية، ولكن أيضًا من وجهة نظر استخدام اللغة. أي علينا ان نميّز بين نوعين من الاستنساخ البشري الذي يمكن أن نسميه، الأول: تناسلي أي يعمل على تناسل الكائن (الإنسان)، وهو عبارة عن إعطاء ميلاد لإنسان بتقنية نقل النواة من خلية جسمية ووضعها في بويضة مفرغة، أي انتزعنا نواتها . بالطبع هذا الأمر يتعلق بتوليد كائنات متطابقة وراثيًّا فيما بينها. والثاني: الاستنساخ اللا تناسلي للكائنات، الذي يعمل على تكاثر سلالات من الخلايا. والكلام لــ (هنري أتلان) ويكمن في استخدام إما بنفس التقنية لنقل النواة أو تقنيات أخرى. لاستنساخ الخلايا. مما يعني استنساخ مستعمرات من الخلايا المتطابقة وراثيًا بالانقسام المتتالي بدءًا من خلية وحيدة.(ينظر: هنري وآخرون،2016،ص17-18). من أبحاث الاستنساخ اللا تناسلي (اللا جنسي) قدم العالمان (هال و ستلمان) في عام 1993، بحثًا في اجتماع الجمعية الأمريكية للعقم تولد عنه صدمة للعالم بأسره، إذ قدموا وصفًا لتجارب خاصة بأجنة بشرية (انسانية) مستنسخة، ونشر الخبر في الجرائد وقد أثير ضجة وقتها، والواقع أن الهيئات العامة على مستوى العالم قد وصفت البحث بأنه شيء مرعب (مخيف)، وقتها قد حذر رئيس أمريكا(كلينتون)، من استخدام الميزانية في تخليق أجنة بشرية لأغراض علمية. وفي محاولة منه للتخفيف من وطأة هذا الخبر ومن مخاوف العامة، وقتها حاول العالمان (جيري و روبرت)، في برامج اعلامية تلفزيونية إن يغسلا أيديهما من المتضمنات الأخلاقية في بحثهما، وذلك بوصف أنفسهما بأنهما عالمان معنيان فقط بالمعرفة.(ينظر: ديفيد ب،رزنيك، 1978، ص23 -24).

ودوّت صرخة أخرى مماثلة في عام 1996، حين أعلن العلماء الاسكتلنديون أنهم استنسخوا لا جنسيًّا نعجة أسموها (دولي DOLLY)، وذلك من خلايا شابة ناضجة. لكن تم التستر عليها من قبل العلماء لمدة ستة أشهر لحين نمت النعجة (دولي)، وانتظروا دورية (ينتشر) حيث نشروا كشوفهم العلمية، وهذه المرة الأولى التي عرف الناس فيها أن هناك إمكان الاستنساخ من خلايا ناضجة لإحدى الثدييات. وكما ظهرت النعجة (دولي) على أغلفة المجلات في العالم ككل وكذلك إلى جانب (الإنترنيت). ولكن الكثير من الناس وجدوا أن هذا البحث مرعب وصادم وغير انساني وأخلاقي، بالطبع وصلت الأخبار إلى الهيئات العامة في أمريكا، وقتها طلب الرئيس الأمريكي كلينتون من اللجنة (البيوأخلاقية) الفيدرالية مراجعة التضمينات القانونية والأخلاقية للاستنساخ، كما أصدر أمرًا يحظر إنفاق المال الفيدرالي في بحث استنساخ الكائنات البشرية، وكان كلينتون على وعي شديد بأن الاستنساخ يهدد قدسية الحياة البشرية (الانسانية)، كما أنه يثير الكثير من التساؤلات سواء كانت دينية أو أخلاقية.(ينظر:ديفيد ب،رزنيك،1978، ص25 -26). إذًا الاستنساخ: هو توالد لا تناسلي، بل هو تخليق كائن حي لكائن حي آخر. بنسخة مطابقة تمامًا من جهة الخصائص الوراثية والفسيولوجية.

المبحث الرابع: القتل (الموت) الرحيم بين القيم الأخلاقية و القانون:

لعل القتل الرحيم وما يتعلق به من اشكاليات أخلاقية وفلسفية ودينية وقانونية، يشكل أحد أعظم معضلات و محاورات للاخلاق الطبية. اما تعريف الموت (القتل) الرحيم لغةً (Euthanasia):فمن eu الاغريقية بمعنى رحيم، و thanatos بمعنى موت، فهو الموت الرحيم، يعني رحمةً ورأفةً وشفقةً بمن وقع عليه الموت. اما اصطلاحًا: فهو نمط الموت الذي "يعجل بوفاة صاحبه، أو موت الذي يضع حدًّا لحياة ملؤها الشقاء والألم، أو النظرية التي تبيح التعجيل بموت المصابين بعاهات جسدية نفسية أو امراض لا يرجى برؤها." (الحنفي، 2000م، ص853).وقد قيل بألفاظ منها: موت الرحمة والموت الكريم، وغيرها من الالفاظ. أي بمعنى أنْ يضع شخص حدًّا لحياته ؛ لأنّه يعاني من مرض مستعص أو امراض خبيثة وغيرها، ويتم ذلك بطلب منه او بيد شخص آخر لإعطائه جرعة قاتلة من الدواء، لتخليصه من العذاب. كل هذه العبارات تدل على أمر واحد: هو انهاء حياة انسان مريض استحال شفاؤه، ويتم ذلك بواسطة أساليب طبية غير مؤلمة.

فان تعريف القتل الرحيم ، والذي يعني الموت أو القتل الجيد، فالقتل يكافئ الموت الرحيم وهو التعبير الطبي العلمي المعاصر، يعني تسهيل موت الشخص من شقائه بناء على طلب مقدم من طبيبه المعالج. فإن التعريف الدقيق للقتل الرحيم: هو إجراء تدخل متعمد مع الاعلان عن النية في انهاء حياة الشخص، وذلك للتخفيف من معاناة مستعصية على الحل. .(ينظر: عبد الرازق، 2015، ص122). يمكن القول ان الموت (القتل) هو خروج الروح من الجسم.

يمكن تسليط الضوء على انطباعات الاشخاص الذين لديهم ارتباط ما بموضوع القتل الرحيم في هذا الصدد تفيد دراسة بشأن رؤية أعضاء الهيئة العلمية في جامعة العلوم الطبية لموضوع القتل الرحيم ، وذلك بدافع الشفقة فكانت النتائج كالآتي: أولًا: إذ ذهبت الاغلبية إلى اعتبار القتل الرحيم جريمة يعاقب عليها، ثانيًا: أصرّ البعض على اباحته أي (القتل الرحيم) ضمن شروط خاصة، ثالثًا: اكد البعض على وجوب تخفيف العقوبة ، وذلك ان يتم وفق شروط معينة.

على أن النظر إلى موضوع القتل الرحيم بدافع الشفقة من زاوية أخلاقية، وبحث ابعاده من تلك الزاوية، بالطبع سوف يكون له موافقون ورافضون، وعلى أي حال فان تبرير هذا العمل في بعده الاخلاقي قد يكون له تأثير مباشر أو غير مباشر في شيوع هذا النحو من القتل الرحيم في المجتمع. (ينظر: بني، 2017، ص39-41).

أقسام القتل الرحيم: يمكن تقسيمه

من حيث إرادة الانسان المجني عليه إلى طوعي، وكذلك غير طوعي أي (قسري)، ومن حيث طبيعة العمل المرتكب ينقسم القتل الرحيم إلى مباشر(فعّال) وغير مباشر (غير فعّال).

أولًا: القتل الرحيم المباشر أي (الفعّال).

هنا يعطى المريض جرعة مضاعفة ومميتة من الدواء في النهاية تفضي إلى نهايته (موته).قد يكون هذا القسم طوعيا أو غير طوعي.

ثانيًا: القتل الرحيم غير المباشر(غير الفعّال).

يطلق على هذا القسم المنفعل أو السلبي، هنا يمتنع الطبيب المعالج عن العلاج، اي في هذا القسم قد يحصل بطلب من المريض او رغم إرادته.(ينظر: بني،2017، ص44-45).

أما من الناحية القانونية: فاتخذ القتل الرحيم في قوانين بعض البلدان طابعًا قانونيًّا، مثال ذلك : في هولندا: تعد المساعدة على الانتحار، بل و ارتكاب القتل الرحيم بفعل ايجابي أمرًا قانونيًا. وكذلك في كندا: وعلى الرغم المعارضة الشديدة لتقنين القتل الرحيم، ثمة مساع حثيثة لقوننته. وأما في سوسرا: فقد أيدت المحكمة العليا من حق المريض من ان يتخذ قرار الانتحار أو القتل الرحيم و يتم ذلك بمساعدة الآخرين. وبات هذا العمل قانونيًّا. وفي بلجيكا: أيضًا اعتبرت المساعدة على الانتحار عملًا قانونيًّا. وثمة محاولات في انجلترا: لتشريع المساعدة على الانتحار(القتل الرحيم)، كما طالب رئيس الوزراء الاسباني بتقنين المساعدة على الانتحار وذلك في بلاده. وكذلك دول اخرى في أمريكا وفرنسا. (ينظر: بني،2017، ص90).

في الدول الاسلامية: نتيجة اعتماد نصوص كتاب القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، في ثقافة هذه الدول وكذلك في عمل الحكومات الاسلامية، لا يمكن العثور على أي دولة من الدول الاسلامية تجيز الانتحار أو القتل الرحيم.(ينظر: بني،2017، ص71 -72).

موقف الفلاسفة من القتل الرحيم: ان القتل الرحيم ظاهرة قديمة ؛ إذ مارسها الأغريق منذ عهد ابقراط ؛ إذ يؤكد (أفلاطون) في كتابه الجمهورية الكتاب الخامس: إن من الواجب إجهاض المرأة التي تحمل رجل سفاح، وعلى كل انسان في دولة متدينة أن يقوم به؛ وذلك لأنه لا يحق لأي أحد أن يقضي حياته بين الامراض والادوية. وعلينا أن تضع قانونًا كما نفهمه نحن مؤداه وجوب تقديم كل عناية للمواطنين الأصحّاء جسمًا وعقلًا، أما الذين في اجسامهم عيب أو تشويه، فعليهم أن يخبوءهم في مكان خفي بعيد عن الاعين، الذين تنقصهم سلامة الاجسام

فيجب أن يتركوا للموت، وكذلك يوافق (سقراط) واتباعه على الانتحار أي القتل الرحيم وسماه: التدبير الذاتي بشرف. (ينظر: أفلاطون، (ب-ت)،ص173).

ـ المبحث الخامس: موقف الأخلاق والدّين من الهندسة الوراثية والاستنساخ البشري والقتل الرحيم.

عارضت جميع الاديان فكرة القتل الرحيم وتعدّه جريمة في حق الانسانية جمعاء، وعندها تتفق الاديان الثلاثة هي: (اليهودية والمسيحية والاسلامية. على فكرة القتل الرحيم. ان رأي الديانة المسيحية فانها تعارض هذه الجريمة، كما جاء ذلك في سفر (أيوب) (23-30) إذ يقول: لأني أعلم أنك إلى الموت تعيدني، وإلى بيت ميعاد كل حي. وكذلك تعارض الديانة الاسلامية فكرة القتل الرحيم، وذلك لأن الله: (جل جلاله) هو من يتصرف في أخذ الارواح من الناس، وليس للبشر دخل في ذلك، وكذلك يرى سبحانه وتعالى أنه لا يحق لأي إنسان ان يقتل نفسه، و ذلك لأن النفس (الروح) هي ملك لله (جل جلاله)، ولا يحق لأي انسان أن يتخذ قرار بفكرة القتل الرحيم.(ينظر: عبد الرازق، 2015، ص127).

إن موقف الأخلاق ورجال الدّين والعلماء والقانونيين المسلمين لم يكفوا عن هذه التطورات وطالبوا بالاهتمام بها. ما دامت خطورتها ترجع إلى أنها تتعلق بحقوق ومصالح الإنسان، كتلك التي تتعلق بالنفس والنسل والعقل، والتي يحظى تنظيمها بعناية الشارع، كما أن حفظها من المقاصد الأساسية للشرع الإسلامي. ومن هنا جاءت أهمية الأبحاث التي توضح الحدود التي يمكن فيها تطبيق مكتسبات الطب وعلم الأحياء على الذرية الآدمية (الإنسانية) على نحو لا يخلّ بالقواعد الأساسية للشريعة الإسلامية.(ينظر: البقصمي، 1993،ص202-203). فإذا كان القصد من الهندسة الوراثية واستخدامها علاجا لكثير من الأمراض الوراثية والعلل فانه يندرج في التصرفات المشروعة إن لم يكن على سبيل الوجوب فعلى سبيل الإباحة؛ لأنّه من جنس المأمور به في نصوص الشريعة الداعية إلى درء المفسدة وتحصيل النفع. وكذلك تهدف إلى تغيير مستوى النبات والحيوان بحيث ينتفع منها الفرد(البقصمي،1993،ص204-205). ويحل هذا فيما أحله (الله) سبحانه وتعالى بقوله : "وَسخّرَ لَكُمْ ما في السَماوات وما في الأرضِ جَميعًا مِنهُ إنّ في ذلك لآيات لقوم يَتفكّرون".(سورة الجاثية، الآية13). هذا من الجانب الايجابي، أما الجانب السلبي من حكم المشرع الإسلامي، فهو محاولة لتغيير الخلقة وتبدل فطرة الإنسان والعبث بتركيبه الوراثي بحيث يمكن السيطرة عليه وتسخيره من أجل تحقيق غايات وأهداف شريرة؟ كل هذا مخالف لفطرة الله (جل جلاله) والأخلاق وللشريعة السماوية. إذ يحذر الله (جل جلاله) في محكم كتابه العزيز من إن أي محاولة لتغيير خلق (الله سبحان وتعالى) هي استجابة لما يأمر به الشيطان اللعين "إن يدعون إلا

شيطانا مريدا، لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبًا مفروضا، ولأضلنهم ولأمنينهم... ولآمرنهم فليغيرن خلق (الله)، ومن يتخذ الشيطان وليًّا من دون (الله) فقد خسر خسرانا مبينا". (سورة النساء/الآيات 117-119)، ولذلك رفض رجال الدّين والأخلاق والفقهاء الجانب السلبي على أساس انه يمثل محاولات لتغيير سنة (الله) وعلى كل ما يمكن ان يؤثر على طبيعة الإنسان الأصلية.(البقصمي،1993،ص205). صحيح ان الشريعة الدينية تتقبل فكرة استخدام العلم وتطبيقه على النبات والحيوان في سبيل ان يستفيد منه الإنسان لعلاج الكثير من الإمراض، ولكنه لا يوافق عليه عندما يتدخل في تغيير خلق (الله جل جلاله) والسنن الإلهية وكذلك القيم الأخلاقية. و هذا ما دعا إليه (ديوي) بالنسبة للدّين فـ (هو) دين الانسانية. وقد كان إنسانيًّا بمعنى الكلمة. وكذلك كانت فلسفته إنسانية. إذ يقول: نحن الذين نعيش الآن أجزاء من انسانية تمتد جذورها إلى الماضي السحيق، وهي إنسانية قد تفاعلت مع الطبيعة. ولكن مسؤوليتنا هي حفظ تراث القيم الذي تلقيناه.(ينظر: الاهواني، 1968، ص141). بالطبع هذه الافكار ليست جديدة؛ لان الاسلام هو دّين الانسانية، وهو الّدين العام الذي يفسح المجال للتطور والنمو وكذلك يدعو إلى التفكير والتأمل العقلي.

خلاصة القول:

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

إنه من خلال الثورة الصناعية والتكنولوجيا العلمية، فالبشرية جميعها مقبلة على تغيّرات كبيرة وخطيرة في منظومة القيم الأخلاقية والتقاليد والعادات الاجتماعية للإنسانية.

مما يوجب علينا إذًا أن نعيد النظر في نظام قيمنا الأخلاقية ، ما دمنا بحاجة إلى قيم أخلاقية تتفق مع عصر التكنولوجيا، أي فلا يمكن أن نترك أدواتنا التي صنعناها بأيدينا تستخدم التلاعب بالحياة والتحكم فيها والسيطرة على أرواحنا. فقد اتخذ القتل الرحيم في قوانين بعض البلدان طابعا قانونيّا، أما في الدول الاسلامية الرافضة لهذه الفكرة. فمن الصور الاخرى للقتل الرحيم قد يوفر الطبيب للمريض أرضية لانهاء حياته بنفسه بدلًا من قيامه هو بذلك، وبالتالي يضع الشخص المريض نهاية حياته بيده، أو من جهة اخرى بمساعدة الطبيب على موت الشخص المريض. وفي النهاية ان كل الأديان رافضة لفكرة القتل الرحيم، وذلك بسبب انها فكرة غير أخلاقية وغير دينية وكذلك غير قانونية.

المصادر والمراجع:

1- منير البعلبكي ورمزي منير البعلبكي، المورد الحديث، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط، 2009، ص1300.

2 - عبده الحلو، معجم المصطلحات الفلسفية، المركز التربوي للبحوث والإنماء، مكتبة لبنان،ط1، 1994، ص177.

3 - ريمون رويه، فلسفة القيم، ترجمة، عادل العوا، مطبعة، جامعة دمشق، ص5.

4 ـ محمد مهران رشوان، تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، الناشر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص21 .

5 - ينظر، عبد المنعم ألحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة،الناشر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2000م، ص670.

6 - ينظر: ديفيد ب. رزنيك، أخلاقيات العلم، ترجمة، عبد النور عبد المنعم، مراجعة، يمنى طريف الخولي، عالم المعرفة، الكويت، 1978، ص7.

7 - ينظر: ديفيد ب. رزنيك، أخلاقيات العلم، ص13 –15.

8 - ينظر: بدوي، عبد الرحمن، الأخلاق النظرية، الناشر وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1975، ص35.

9- ينظر: بدوي، عبد الرحمن، الأخلاق النظرية، ص33- 38.

10 - ينظر: ساطع ألحصري، آراء وأحاديث في العلم والأخلاق والثقافة، ص18- 19.

11 - ينظر: ساطع ألحصري، آراء وأحاديث في العلم والأخلاق والثقافة، ص19.

12 - ينظر: محمد الربيعي، الوراثة والإنسان (أساسيات الوراثة البشرية والطبية)، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1986، ص171 – 172.

12 - ينظر: ناهدة البقصمي، الهندسة الوراثية والأخلاق، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1993، ص204.

13 - ناهدة البقصمي، الهندسة الوراثية والأخلاق، ص91.

14 - هنري أتلان وآخرون، الاستنساخ البشري، ترجمة، مها قابيل، مراجعة، عزت عامر،المركز القومي للترجمة، العدد، 2886، القاهرة، ط1، 2016، ص17 -18 .

15 - ينظر: ديفيد ب. رزنيك، أخلاقيات العلم، ص23 -24.

16 - ينظر: ديفيد ب. رزنيك، أخلاقيات العلم، ص25 -26..

17- ينظر: الحنفي،المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة،ص853.

18- ينظر: عماد الدين ابراهيم عبد الرازق، أخلاقيات البيوتيقا والقتل الرحيم، بحث منشور ضمن كتاب، الأخلاقيات التطبيقية جدل القيم والسياقات الراهنة للعلم، باشراف وتنسيق وتقديم، خديجة زتيلي، منشورات، ضفاف، بيروت، ومنشورات، اختلاف، الجزائر، ط1

19- ينظر: اسماعيل آقا بابائي بني، القتل الرحيم بين الفقه والقانون، ترجمة، رعد الحجاج، ط1 ،بيروت،2017، ص39-41.

20- ينظر : بني،القتل الرحيم بين الفقه والقانون، ص44-45.

21- ينظر: بني،القتل الرحيم بين الفقه والقانون،ص90.

22-ينظر: بني،القتل الرحيم بين الفقه والقانون، ص71-72.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

23- جمهورية افلاطون، ترجمة، فؤاد زكريا، راجعها على الاصل اليوناني، محمد سليم سالم، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،

24- ينظر: عبد الرازق، أخلاق البيوطيقا والقتل الرحيم، ،ص127.

25 - ينظر: ناهدة البقصمي، الهندسة الوراثية والأخلاق، ص202 - 203.

26 - ينظر: ناهدة البقصمي، الهندسة الوراثية والأخلاق، ص204 – 205.

27- ينظر: ناهدة البقصمي، الهندسة الوراثية والأخلاق، ص205.

28-ينظر: الاهواني، جزن ديوي، نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف مصر، ص2، 1968، ص141.

قاسم صاحب عبد الحسين أ. م. . (2023). مفهوم التجربة الدينية في الفلسفة البرجماتية. لارك, 15(3), 1257-1243.
https://doi.org/10.31185/lark.Vol2.Iss50.3213

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية